

الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل

[356] لو أن هؤلاء يستهدفون حقاً إدراك الحقيقة، ففي هذه الآيات النازلة على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) دلالة واضحة بينة على صدق أقواله، فما الداعي إلى نزول آية مستقلة على كل واحد من الأفراد؟! وما معنى الإصرار على أن يكلمهم الله مباشرة؟! مثل هذا الطلب تذكره الآية 52 من سورة المدثر: (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَنْ يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّذَشَّـرَةً). مثل هذا الطلب لا يمكن أن يتحقق، لأن تحققه - إضافة إلى عدم ضرورته - مخالف لحكمة الباري سبحانه، لما يلي: أولاً: إثبات صدق الأنبياء للناس كافة أمر ممكن عن طريق الآيات التي تنزل عليهم. ثانياً: لا يمكن للآيات والمعجزات أن تنزل على أي فرد من الأفراد، فذلك يتطلب نوعاً من اللياقة والإستعداد والطهارة الروحية. فالأسلاك الكهربائية تتحمل من التيار ما يتناسب مع ضخامتها. الأسلاك الرقيقة لا تتحمل التيار العالي، ولا يمكن أن تتساوى بالأسلاك الضخمة القدرة على توصيل التيارات العالية. والمهندس يفرق بين الأسلاك التي تستقبل التيارات العالية من المولدات مباشرة، والأسلاك التي تنقل التيار الواطيء داخل البيوت. الآية التالية تخاطب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتبين موقفه من الطلبات المذكورة وتقول: (إِنَّ زَآءَا أَرْسَلَآكَ بِالْحَقِّ - بِشِيرَاءٍ وَنَذِيرٍ). فمسؤولية الرسول بيان الأحكام الإلهية، وتقديم المعجزات، وتوضيح الحقائق، وهذه الدعوة ينبغي أن تقترب بتبشير المهتدين وإنذار العاصين وهذه مسؤوليتك أيها الرسول، وأما الفئة التي لا تدع للحق بعد كل هذه الآيات فانت غير مسؤول عنها: (وَلَا تُسْأَلُ عَنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ). * * *